"أشرقت هناك" لأسعد الزاملي: وجوه العشق ومقامات المحبة

ميسون طه النوباني

عضو رابطة الكتاب الأردنيين

تدهشنا اللوحةُ الممتدةُ وكثيرةُ الأبعاد، حتى أننا نقفُ أمامها لوقتٍ طويل نسبرُ أعماقها، ونبحثُ عما هو جديد، لندركَ تلك الأصابع التي استطاعت الخروج من هذا العالم؛ لتشرق في عالمٍ آخر مليءٍ بالألوان، ومما لا شكَّ فيه أن الشاعر أسعد الزاملي في ديوانه (أشرقتُ هناك) خرج من الأنا ليدخلنا في عالمٍ أرحبَ وأكثر اتساعا. وقد صدر هذا الديوان عن دار الورشة الثقافية للطباعة والنشر في بغداد هذا العام.

تشرقُ بغداد جليَّة في مستهلِّ (أشرقتُ هناك)، ليبدو الشاعر عاشقا يتلمَّسُ جسورها، ويقطف من نخيلها، ويتغزل في ملامحها الطبيعية الموزعة بين خدّيّ الكرخ والرصافة، ثم ينتقل في قصيدة أخرى إلى رمز من أبرزِ رموزِ حضارةِ وادي الرّافدين؛ ألا وهي مدينة بابل القديمة فيصف في لوحة شعرية، يحاكي بها الأطلال ويرجع إلى أعماقِ التاريخ مكلّما حمورابي، وواصفا الثور المجنح، لينسجَ أبياتا لم يعتمد فيها على عاطفة خالصة بل جاءت هذه العاطفة في سياق معرفة حقيقية للمكان.

أطلالُ بابلَ لم تزل أطيافُها

تطفو على برج السماء تُطاولُهْ

فكأنهُ الثورُ المجنحُ سابحا

من فوقنا فرحا تميس جدائِلُهْ

وكأنَّ (حمورابي) الملكُ العظيمُ

يجولُ في ننماخَ وهو يُسائِلُهْ

ما زلت تزهو بالطقوسِ ولم يزل

نـهرُ الوصالِ تُمَـدُّ فـيكَ جداوِلُـهْ

للعشقِ وجوهٌ كثيرةٌ، عشقُ المكان كان أولُها، لينتقلَ الشاعرُ بحسٍّ مرهفٍ ولغةٍ تختلفُ باختلافِ المعشوقِ، ففي قصائده اللاحقة؛ ذهب بنا الشاعر إلى مفارقةٍ في وصفِ الحبيب، فالحبيب لوحة طبيعية ترتدي رداءً أخضر كالزيتون، له وجهٌ يأخذُ بنوره من يراه، فيصطفُّ العشاق أمامه اصطفافا، مأخوذين بنهر المجاز الذي ينحدرُ من عينيه، ومحاولين وصفه ليعودوا خائبين، غير قادرين على سبر أغوار ذلك الجمال، الذي يتجلّى في كلِّ مناقبه، وحركة من حركاته؛ ليرسو بنا الشاعر أخيرا في بحر سيدنا محمَّدٍ (صلى الله عليه وسلَّم). ومما لا شكَّ فيه أنَّ الشاعرَ توغَّل في عالمِ المعنى، وبنى القصيدة على مخاطبة معشوقة مثالية ليصلَ بوصفها إلى صورةٍ خُلُقيةٍ لرسول الله (صلى الله عليه وسلَّم)، ليقودَ القارئ البسيط والمثقف معا إلى لوحةٍ سورياليةٍ من عالم الروح، يصف فيها خير خلق الله عليه الصلاة والسلام، فيستلهم الآية الكريمة (وإنَّكَ لعلى خلقٍ عظيم).

وصفوا تجلّيها فقالوا سدرةٌ

طهُرتْ عن الأوراقِ والأعوادِ

والبعضُ نزهَّها إلى زيتونةٍ

تذكو سنا من كوكبٍ وقّادِ

حاروا فلا شرقيةٌ أوصافُها

أبدا ولا غربيةُ الإيجادِ

رفعوا قضيَّتَها لشيخٍ عارفٍ

فبكى طويلا ثم راحَ ينادي

يا ايها الاوهام انى تدركو

سرا لها في عالمِ الأجسادِ

إن تلكَ إلا نفحةٌ قدسيةٌ

في وصفِ طه سيّد الأسيادِ

وفي محطةٍ أخرى من محطاتِ عشقه يصل بنا الشاعرُ إلى كفيلِ الأيتام، وهو الإمام علي رضي الله عنه، في لوحةٍ أرادها أن تكون جليَّة وصافية للقارئ؛ ليكون قد أسلمَ الرؤى للحقيقة دون ملابسات، ومما لا شكَّ فيه أنه لم يتعمَّد ذلك بل انسابت القصيدة بفطرة الشاعر لتحمل رؤيته الاجتماعية والإنسانية.

جرحٌ ومن عُمقِ الزمانِ نزيفُه

يمسي ويصبح مثلما الأيامُ

يجري مع الأصلابِ يورثُ حزنَه

وتهيج وقت حلوله الآلامُ

تتوحد الأشجانُ عندكَ حيدرٌ

وتنوحُ في محرابك الأيتامُ

ثم يشرق أسعد الزاملي المعرفة والنور، يبدأ محاقا صغيرا يدورُ حول الضوء منجذبا نحو الشوق المركوز. وأرى أن الشاعرَ في هذه القصيدة التي سمّى ديوانه باسمها يدورُ حولها كيان شاعر برؤية عرفانية تسعى نحو الكمال، وتحمل في طياتها نظاما طامحا للذوبان في عالم المعنى والفناءِ في الشقِّ الآخر من هذا الكون، وهو شقُّ الرّوح، ليس هروبا من عالم المادة، بل انسجاما بينهما، وشمسا تشرقُ على العالمِ الماديّ بصوتٍ إلهي

ثاقبٍ، وروحٍ مفعمة بالتجلي والذوبان في الذات الإلهية، فيصف ذلك في نهاية القصيدة، بمشهد محاق البدر، والانتقال إلى التزوّد من مصدر النور الكمالي وليس المنعكس منه.

مـذْ كُنتُ هلالاً كـانَ الشـوقُ يناغيني لأراكْ

وبشطرِ البدرِ وأدتُ نجـوماً حـولي كـي ألـقاكْ

لم تحـجبْني الشُبُهـات

أو تَمـحقْني الظُلـُمات

بل صـارَ الشـوقُ المركوزُ الأسـمى يسـعى لعُلاكْ

وجـهٌ يُشبِهُ وجهي بَدره يـُعكَسُ مـن نـورِ سناكْ

أخبـرني سرّا حيـن مـضى يَقبِسُ من نـار قـراكْ

.....

ما عدتُ كماكنتُ ورحتُأُجـاذبُ

ضوئي لِنداكْ

وتَجَرّدتُ مِنَ البدرِ بلاظلٍ

وغدوتُ ضِياكْ

فرأيتُ سَنا المِشْكـاةْ

وحـباني بالغُرُفـاتْ

وَوُصفتُ مُحاقـاً إلاّ أنّي قـَدْ

أشـرقتُ هنـاكْ

أما قصيدة (هلالُ الكشف) فتحملُ بين طياتها روحا تتنقل بين المقامات العرفانية حائرة في البداية، مفعمة بالأسئلة، ثم متجرّدةً عن كل ما يحجبها عن الذات الإلهية، لتدركَ سرَّ ذلك الظلِّ الذي يناديها، فتتخلى عن كل ما يحيط بها، وتتخلص من ذنوبها لترى ذلك الظل جليا، وتصلَ إلى الفناء في الذات الإلهية.

بغارِ النفسِ قد أبصرت ظلا

فمِمَّ ضياؤه ولمَ اضمحلّا؟

ورحتُ العمرَ أبحثُ عن جوابٍ

للغزِ الظلِّ كيفَ وأين ولّى؟

إلى أن جاءني بوحٌ دعاني

لأكشفَ سرَّه وأنالَ حلّا

خضعتُ لما يريدُ: بأن تجرد

من الأضواء حولك دون إلّا

لم يكن الشاعرُ يسردُ مقاماته التي يمرُّ بها في هلال الكشفِ سردا، بل فاح ديوانُه عطرٍ يحتلُّ كثيرا من زوايا نصوصه، ليعودَ في معظمها إلى مقامِ العشقِ الذي أهَّله لمحبة آلِ بيتِ رسولِ الله (ص)، ففي قصيدته التالية وهي قصيدة (ريحانةُ الهادي) يصفُ سبطَ رسول الله (الحسن) رضي الله عنه، بتفاصيلَ واضحة وملموسة للقارئ، ليندرجَ ذلك الوصف تحت سياقِ عشقه المطلق، الذي لا يحتاجُ من خلاله أن يلمِّحَ فالعاشقُ هنا أراد أن يُعرفَ المحبوبُ، بصفاته التي تبدو له جليَّة ومستحقةً للظهور، فأحبَّ أن تبدو للقارئ الذي يتمنى أن يحبَّه كما أحبه هو. ومن هذه الصفات أنَّه كان يشبه سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فأشار لذلك بلفتةٍ ذكية وروح شاعرة في البيت

والدَّهرُ مبتسمٌ كثغرِ محمدٍ

لما تبسَّمَ حين ضمَّ الكوكبا

الجمال في شكل المحبوب يصفه جمالُ جذوره الغائرةِ في الأرض، فمما لا شكَّ فيه أنَّ الشاعر لا تربكه اللغة، ولا تتعبه الصياغة، فتنسابُ قصيدته كالنهر من منبعها إلى مصبها.

وتروي قصيدة (مقامات الطفوف) حادثةً تاريخية بطريقة أسطوريةٍ تتزاحمُ فيها الصور، لترسمَ لوحة من الماء والعطش، والنور والعتمة، في متناقضات تلعب بينها قافية اللام المسبوقة بالياء دور العطر الذي يترشحُ من المقامات التي تتناثر في أرجاء القصيدة كالخيولِ الجامحة.

قصيدة (مقامات الطفوف) من القصائد التي تروي أصول المقامات، التي يصلُ لها المتكاملُ عشقا، ليركب خيل المعرفة ويصلَ إلى الفناءِ في الحب. فالتجرُّدُ سبيل الرِّضا وكلاهما مقاماتٌ لا يصل إليهما العارف إلا بالتضحية:

كيف التجرُّدُ مرَّ عبرَ قصيدةٍ

قد أشبعت خدَّ الرضا تقبيلا

والمتصفِّحُ في هذه القصيدة يرى صورا يلوِّنها المكوثُ طويلا تحت ظلِّ تلك الملحمة التي تمثِّل كل شخصيّةٍ فيها مقاما من مقامات العرفان، حيثُ يسعى الشاعر بسلاسة لا تخفى على القارئ المتمعق إلى إبراز شخصية الحسين رضي الله عنه التي جسَّدت مقام الفناء:

كيف الحسينُ السِّبطُ ذابَ مع الفنا

وغدا مقاما يستثيرُ عقولا؟

كما مثل العباس بن علي بن أبي طالب مقام الإيثار والتضحية بكفيه ثم بروحه.

فرمى الكفوفَ مقدِّما قربانَه

ورأى الدماءَ بعينِه تكحيلا

أمّا شخصيةُ (عابس) فقد مثّلت مقام العشق:

أنّى مقامُ العشق سمّيَ عابسٌ
جيلٌ يهيمُ به ويورِثُ جيلا؟

وشخصية الحرِّ ابن يزيد الرياحي مثلت في موقفها مقام التوبة:

ومتى مقامُ الحرِّ أضحى مُحكَما
لا يَقبلُ التفسيرَ والتَّأويلا؟

وبعدها اختصر الشاعر مقامَ الفداء، في مشهدٍ تفانى فيه أصحابُ الحسينِ وأولادُه بالتضحيةِ والدّفاع عنه، حيث وصفهم الشاعر بالنجوم والفراقدِ، التي تتساقطُ تباعا عند رؤيتها للبدرِ قتيلا، فأفول البدر وهو المحبوب دعا النجوم والفراقد كي تهوي من خدرها وتطلِّق أسحارها.

كيف النجومُ تساقطتْ من خِدرها

لما رأتْ في بدرهنَّ أفولا

وكذا الفراقدُ طلَّقتْ أسحارها

وهوتْ على رأسِ العدى سجّيلا

أما شخصيةُ المرأةِ في (مقامات الطفوفُ) فهي شخصيةٌ قويةٌ وصابرة، ولا ترى في كل ما حدثَ من قتل لأبيها وإخوتها إلا جميلا، فما كان بعين الله لا تراه امرأة (أشرقتُ هناك) إلا بعين الرضا والصبر، فمقام الرِّضا هو مقام زينب بنت علي ابن أبي طالب (رضي الله عنهما) التي يدعو الشاعر من خلالها إلى الصبر وعدم الشكوى ويحفِّز القارئ على النظرِ إلى البلاء بكلِّ أشكاله على أنه جميل قياسا بالبلاء الذي أصيبت به تلك المرأة الصابرة الراضية المحتسبة.

فإذا وقفتَ على مشارفِ زينبٍ

ورأيتَ طودَ الصبرِ بانَ طويلا

اخلع روايات التشكّي والخنا

واستأزر التعظيمَ والتبجيلا

واقرأ لهم كيف العقيلة أخرستْ

صوتَ الضليل وكيف صار ذليلا

حيث الذي نطقتْ به في قصرِهِ

لأجلُّ موعظةً وأبلغُ قيلا

ما قد رأيتُ بما جرى في كربلا

إلا عطاءً من لدنْهُ جميلا

يعودُ الشاعرُ بعد هذا التجلي في (مقامات الطفوف) ليركن إلى الهدوءِ واللهفة للفناءِ في الذاتِ الإلهية، داعيا الله عز وجلَّ إلى التغاضي عن أخطائه وإلى الاطمئنان بحبه، واصفا إياه بالعفوِّ رغم الأخطاء وبالواصلِ رغم القطيعة.

أترى لغيرِكَ رغبتي وتنهُّدي

أم من ترى بالجود غيرَك يبتدي

أنأى فتُقبلُ بين كفّيك العفا

أجفو فتسقي الهجرَ شهدَ المواردِ

لا تبدو لي حادثةُ الطفِّ في قصائد (أشرقت هناك) مجردَ أطلال على الرغمَ من تسميةِ القصيدة اللاحقة ب (تأملات بين أطلال الطف)، فالطيوفُ تعانقها الطلول لتسقط الدماءُ على الحروف كالمطر؛

تلك صورة واضحة لرؤية الشاعر وحضوره الجلي في ملحمة الطف، تنسابُ تلكَ الدماء عطرا يضيء أرجاء الكهف الذي يعيشُ به العارفُ حتى يطَّلع على المقامات التي تشعَّبت من شجرة المعنى ليأكل ثمارها الشاعر ويصل إلى رؤيته الخاصة وعشقه المبنيّ على التجلي والرضا والتجرد وصولا إلى الفناء.

تعانقتِ الطّلولُ مع الطّيوفِ

غداةَ ذكرتُ واقعةَ الطّفوفِ

فأقبلت الحروفُ مجرداتٍ

وقُطّرتِ الدماءُ على الحروفِ

والمتبحِّر في قصيدةِ (مقاماتُ الطفوف) لن يجدَ صعوبةً في فهم معاني هذه القصيدة فهي تعرض صورا مختلفةً للمقامات الكمالية، بصياغة شعرية مختلفة، ليميزها الشاعرُ بفكرة عميقة وواقعية صدَّرتْ معركة الطفوف إلى داخل كل النفوس حيث أشارَ الشاعرُ إلى أن ما حدث في هذه الملحمة هو صراع بين الصفات السيئة الدنيوية والصفات الحميدة الإلهية والموجودة في دواخلنا جميعا.

ومالي لا أرى إلا صفاتٍ
لحربِ السِّبطِ تقرعُ بالدُّفوفِ
على مدِّ الزَّمانِ لها جيوشٌ
تُميتُ مبادئَ الدّينِ الحنيفِ
فتنبضُ كربلا في كلِّ جيلٍ
يُجاهدُها ويلحقُ بالصُّفوفِ
دموعُ الحرِّ في تقوى بُرَيرٍ
وعشقٌ عابسيٌّ للحُتوفِ

يحاكي الشاعرُ في قصيدة (صوتٌ يتردَّد) أبياتَ الإمام عليه رضي الله عنه

أتحسبُ نفسك جرمٌ صغير

وفيكَ انطوى العالم الأكبرُ

وأنتَ الكتاب الذي في الصدور

به يظهرُ العالمُ المضمرُ

حيثُ يخاطبُ الشاعر العالم المعنويَّ الذي يختبئُ في داخل النفس البشريَّة، والذي يتجلى في صوتٍ ينطلقُ من أعماقها، فيكون أكثر وضوحا كلما زادت هذه النفسُ نقاءً وصفاءً.

ثم يشبه الشاعر النفس الإنسانية المتكاملة بالحضارات التي تمتدُّ من قديم الزمان، والتي تتشكل من حروف السر الأعظم وهي من الأسرار العرفانية التي يشير لها الشاعر في القصيدة مقرنا إياها بالنور العظيم الذي ينطلقُ من الكهف المعتم وهي النفس الإنسانية.

من يبحثُ عني لا يندمْ

فأنا للمستكشفِ منجمْ

وأنا للمتعبِّد معبدْ

وحضاراتي لم يقرعْها

فأسُ التنقيبِ وهل تعلمْ؟

أنَّ حروف السر الأعظمْ

وكذا بوح النور الأقدمْ

في داخلِ كهفي

يتردَّدْ

للحزن صلاته في (أشرقتُ هناك) فالشاعر أراد له أن يصلي في رحاب الحسين رضي الله عنه حيثُ جرحُه الذي أدمى قلوب محبيه، ففي قصيدة (صلاةُ الحزن) يحمِّل الشاعر رؤيته للقرّاء في عدَّة متناقضاتٍ

لافتة، فالحاجة ملحة للصبر على المصيبة التي رواها الحسين بنهر من الجَلَدِ والقوة والإرادة بفعله، والرضا يسبق اصفرار الورق الذي يشير إلى الموت. والشاعرُ حين أرادَ الوصولَ إلى ماءِ الصبر لم يحتج إلا إلى نفض أهوائه برضا الحسين رض. وحينها توضأت الدموعُ بالذكرِ لتصلي صلاة القصر وهذا يشير إلى الحالة المضطربة التي يخلد إليها المحبُّ والساعي إلى رحابِ المعشوق.

أتيتك أستشفُّ رضاً تندّى
على ثغرٍ لمى فأذلَّ شمرا

بذكركَ ما توضأ دمعُ عيني
يصلي الحزنُ فوقَ الخدِّ قصرا

للحكمة في رؤية الشاعر الكثير من الشهودِ في قصائده بشكل عام، فلا شيءَ يدورُ في هذا الكون بلا امتداد في عالمه الذي يشرقُ فيه ومنه عبر قصائده، وفي قصيدة (جذورُ الحكمة) يستطيع الشاعر في قطعة من الشعر الحرِّ أن يدخلنا إلى عالم المعنى الذي لا ينفصلُ في رؤيته عن الحكمة من وراءِ ما يحصلُ حولنا، فما قد نعتبره خطأ في كثير من الأحيان يكون له انعكاسٌ في عالم الروح، قد ندركُ الحكمة منه بعد مدة من الزمن، وفي هذه القصيدة يستعملُ الشاعر مفرداتٍ يستمدُّها من القرآن الكريم (عصا النبي) و(سفينة المساكين) فيدرك القارئ أنَّ القصيدة لا تنفصل عن حقيقةٍ روحانية يؤمن بها أولئك الذين يستمدون طاقتهم الإيجابية من عالم المعنى الذي أشرق منه الشاعر.

فرعُ الحكمةِ خرقَ بعمدٍ
سفينةَ المساكينِ لتبقى
عيبا

هل ندرك الحكمة؟
هل علموا لم قد عجزتْ
عصا النبيِّ عن معجزاتها؟

أما عندما ينشقُّ بحرُ الأنا في (أشرقتُ هناك) سينفصلُ الشاعرُ عن الذات وهي أنثى القصيدة التي تجرَّدَ منها لتبكي بكاءً يخلقُ صورة جميلة في البيت الأولِ من القصيدة:

دمعٌ وكحلٌ معا في خدها امتزجا

كالفجر في كربلا لما أفاض دجى

فيصفُ وجه الحبيبة بالفجر الذي فاض عليه الظلام يوم مقتل الحسين في كربلاء. ينسلُّ الشاعر من عشقٍ إلى عشقٍ آخر ليمثلَ مقام التجرُّدِ من الذات. وذاتُ الشاعر هنا هي الحبيبة؛ التي تشكو فراقَ الحبيب وتدعوه لوصلها، ولكنَّه يدعوها هي الأخرى للتجرُّد منه للخلود إلى محبة الله ورسوله وآلِ بيته. فعمقُ الحبيبة الذي أرادَ الشاعرَ أن تعودَ إليه سيقودها إلى عالمٍ أرحبَ وأكثر جمالا:

كاشفتُها قائلا: هذا السبيل فهل

تأتين نسعى معا نستوقدُ السُرُجا

نذوبُ في عالمٍ لا ضيقَ يسجنُه

من جاءه صادقا لا يُعدم الفرجا

عادتْ إلى عمْقها واستقرأتْ فبكتْ

عند الضحى ندما والليلِ حين سجى

وفي قصيدة غنائية (ألوانك رمز هويتنا) يعود الشاعر للعراق وللتغني بالعلم العراقي قائلا إنَّ هذه القصيدة أنشدها الطلاب أثناء رفع العلم العراقي في إحدى مدارس بغداد.

تنسابُ هذه القصيدة متصفحة ألوان العلم العراقي لتبرز معانيه بطريقة سلسة للغناء، وتبدو القصيدة هنا بملمحٍ أقرب إلى الأناشيد.

أما في قصيدة (تلاشٍ) فيطرحُ الشاعر فكرة الخصوصية في التفكير، فكثيرا ما يخيبنا القياسُ على التجاربِ السابقة، ولعل الشاعر يطرحُ حالةَ الخصوصية في الإنسان الذي يسعى إلى التكامُل ويتوقُ إلى

الوصول، فلا بدَّ من ضوء يشرق من ذواتنا يضيءُ على صفحة الآخر لقراءةِ ما فيه بغض النظر عن إسقاطات الماضي.

الضباب المتسيِّد

يئده الشعاعُ

المشرقُ من ذاتكَ

فتعود بلا يباسْ

في قصيدة (خصال النساء) يطلُّ الشاعرُ ناصحا قراءه بالارتباط بالمرأة الصابرة التي تصون الودَّ ولا ترى منها إلا جميل القول والفعل، والشاعرُ هنا يدعو المرأة أيضا إلى التخلّي عن سوءِ الظنِّ والتحلّي بالصبر والتأنّي.

وأمّا من يصنَّ العهدَ دوما

فحسنُ الظنِّ يسقي القلبَ ودّا

ويغزلنَ الوفاءَ بكل صبرٍ

ويعصرنَ الجوابَ، يسيلُ شهدا

لا ترسو سفينة الزاملي في (أشرقتُ هناكَ) طويلا إلا في مقام العشقِ، فهو عاشقٌ يرنو إلى الوصال، فهو يحمّلُ المحبوب رسالةَ شوقٍ لا رسالة عتب، فهو الراضي بالنارِ التي تأكله ولا تأكلُ عشقه كما عهدناه في كل حالاته يعيشُ مقام الرِّضا.

وما يطرحه في قصيدة (بلا قرار) يشي بصفاتِ الحبيب الذي يتدرَّجُ في كماله حتى يصبحَ بدرا يدورُ حوله بلا قرار، فهو كوكبٌ له الكثيرُ من الخصوصيةِ بتحقيقِ الإرادة التي لمح إليها الشاعرُ حيثُ قال:

كأنه كوكبٌ فيه انجذابٌ

يسيرُ كما يشاءُ بلا قرارِ

وفي ومضةٍ تتناوبُ فيها الحركة والهدوء (أكثرتُ التحديق) ثمَّ (سعيتُ لكي ألقاكِ) يتنقَّلُ الشاعر من الحضورِ إلى الغياب، ليصلَ أثناءَ احتراقه إلى طيفٍ يزخرُ بالماءِ ليطفئَ ناره بالأمل؛ صورٌ يستضيءُ بها الشاعر ليطردَ الغيابَ الذي يطارده بالنورِ الذي يشقُّ عتمته.

العشقُ والشوقُ والنداءُ واليقين باللقاء هي قواسمُ مشتركة بين القصائدِ القصيرة الأخيرة في (أشرقتُ هناك) فالشاعرُ يبدو مستقرّا، يحملُ عشقا كبيرا لذات الحبيبة التي لم تختلف صفاتُها المرسومة بين ثنايا قصائده؛ فالقارئ لقصيدة (من وحي عينيك) سيتذكر قصيدة (بلا قرار)، فالحبيبة ذات إرادة عالية تدعوها إلى الكمال فلا تستقرُّ على حالٍ، وذلك ما نجده في قصيدته (من وحي عينيكِ) أيضا

فجذع الحورِ يؤرشفُ لاسمينا

وخدودُ الأرز تضم ندى الأحزان

وعروق التوتِ الأحمرْ

تسبح في غيمتك اليمنى

كالحبر المسكوب

دون مسار

عينا الحبيبة غابة خضراء تعكسُ الضوء والخضرة والجمال. وكذلك في قصيدة (لا ذنبَ الآن) يرسمُ الشاعرُ لوحة للحبيبة ذات الجوهر الأخضر الذي استطاع بنور العشقِ أن يراه، حتى استطاع كبحَ جِماح الذنوب بالنور.

من دون شعورٍ

وبكلِّ ذكاءْ

جاءت من أعمقِ

أحراشِ النفسْ

تسعى بهدوءٍ

ونظرتُ بجوهرِها

سربُ حمامٍ من نورْ

يكبحُ بجنونٍ ثورتَها

وتعودُ لقمعِ تمردها

تتخلَّصُ الحبيبة وتتوبُ عن كل ذنوبها التي رافقتها لتعود لجوهرها الأخضر وهو قمحُ التمرد الذي أراد لها الحبيبُ أن تعود إليه بذنب واحدٍ فقط لا يُرى ذنبا وهو العشق.

يحملُ ديوان (أشرقتُ هناك) الكثير من الرؤى التي تنصبُّ في بحرٍ واحدٍ وهو بحر المعرفة والنور، حيث تجرَّدَ الشاعرُ في مجملِ قصائده من الأنا ليدخلنا إلى عالمٍ يمثِّلُ الحقيقة والخلود، ومما لا شكَّ فيه أنَّ هذه المعرفة لا يتمُّ الوصول إليها إلا من خلال عبور تلكَ المشاهدِ من المقامات الخالدة، والتي تمثَّلت بشخصياتٍ لا يستطيعُ الحاضرُ أن يتبرأ من خلودها في التاريخ.

العشقُ مقامٌ خالدٌ يضمُّ تحتَ ردائه المقامات جميعها، كالتوبة والرضا والتجرُّدِ والحيرة، أشرقَ الزاملي على قرّائه منها صانعا من اللغة مقاما آخرَ يتجلّى من خلال الإبداع.